الكبر

أسباب عذاب القبر

الكبر

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال ﷻ :{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: ١٣٨].

وقال ﷻ :{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل العظمة إزاره، والكبرياء رداءه، ورتب العقاب الشديد على من يريد أن ينازعه فيهما، فروى الحاكم أن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي:«العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما أخذته ولا أبالي».

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : بين لنا أن الكبر يمنع صاحبه من دخول الجنة، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال ﷺ :«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس».

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع جناية خطيرة من الجنايات التي يرتكبها

الإنسان، مع جناية تسبب الحرمان من الجنة وتوجب النار، مع جناية تسبب الهلاك والدمار لمن يرتكبها، أتدرون ما هي؟ إنها الكبر، أعاذني الله ﷻ وإياكم منها.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسال أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن موازين العباد عند الناس تختلف عن موازين العباد عند الله ﷻ، فقد يكون العبد عزيزاً في أعين الناس وهو عند الله ﷻ في أخبث المنازل، وقد يكون العبد حقيراً في أعين الناس وهو عند الله ﷻ في أعلى المنازل.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري عن سهل بن سعد ﷺ أنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله ﷻ لأبره».

وروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ

السمينُ يوم القيامة، فلا يزن عند الله ﷻ جناح بعوضة».

وإذا كان الأمر كذلك: فلا داعي لأن يفتخر مسلم على أخيه المسلم، ولا داعي لأن تفتخر مسلمة على أختها المسلمة، فإن مقادير العباد لا يعلمها إلا الله ﷻ.

فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١].

الحقيقة الثانية: إن الله ﷻ حرم علينا الكبر وحذرنا منه، وتوعد لمن تخلق بهذا الخلق الذميم بالوعيد الشديد، فقال ﷻ :{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٤٦].

وقال ﷻ :{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥].

وفي نفس الوقت نجد أن الرسول ﷺ حذرنا منه، فروى الطبراني في الأوسط أن الرسول ﷺ قال:«إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل ، وإن عليه العباءة».

ولقد حرم الله ﷻ الكبر من أجل تنقية القلوب من الأحقاد والضغائن، ومن أجل نشر المحبة والإخاء والتآلف بين المسلمين.

ولقد رتب الشرع العقاب الشديد على من تخلق بهذا الخلق الذميم، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

وروى أبو داود والترمذي أن الرسول ﷺ قال:«من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار».

فالواجب علينا جميعاً أن نحذر من الوقوع في تلك الآفة، فإن عاقبة الكبر غير محمودة في الدنيا والآخرة.

فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرة من كبر**».

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان أن الله ﷻ يقول:«**العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني شيئاً منهما عذبته**».

الحقيقة الثالثة: إن المتكبر من أشر الناس عند الله ﷻ، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد عن حذيفة ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال:«**ألا أخبركم بشر عباد الله ﷻ الفظ المستكبر...**».

فالمتكبر هو الذي أراد الله ﷻ أن يضلّه، فجعل صدرهَ ضيقاً حرجاً، كأنما يصعدُ في السماء.

المتكبر يكرهه جميع الناس، وينفرون منه، ويفرون منه فرارهم من الأجرب، ويهربون من لقائه هروبهم من الثعبان؛ لأنه في نظرهم أثقل من الجبل، وأنه أبغض إلى قلوبهم من المرض.

أتدري يا من تدعي الكبر ماذا يقال لك وأنت نائم على خشبة الغسل عرياناً؟ يقال لك: أين سمعك ما أصمك؟ أين بصرك ما أعماك؟ أين سمعك ما أخرسك؟ أين صوتك الشجي ما أسكتك؟ أين ريحك الطيب ما غيرك؟ أين مالك ما أفقرك؟

فإذا ما وضع في القبر نادى منادٍ من قبل الله ﷻ : يا ابن آدم: جمعتَّ الدنيا أم الدنيا جمعتك؟ يا ابن آدم: تركتَّ الدنيا أم الدنيا تركتك؟ يا ابن آدم: استعددتَّ للموت أم المنية عاجلتك؟ يا ابن آدم: خرجتَّ إلى الدنيا بلا ذنب، وعدتَّ إلى الدنيا وكلك ذنوب.

فإن رزقك الله ﷻ الجمال فلا يحملك هذا الجمال على أن تتكبر على غيرك؛ لأن الجمال عرض زائلُ لا يدوم أبداً.

وإن رزقك الله ﷻ المالَ فاحذر من أن يحمِلَك هذا المال على التكبر؛ لأن الدنيا بكل ما فيها متاع زائل، لا تساوي عند الله ﷻ جناح بعوضة.

وإن كنت من أسرة عريقة النسب والجاه، فلا تتفاخر على من حولك بهذا الجاه والنسب والحسب؛ لأن النسب الحقيقي هو التقوى، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة، فلا ينفعك إلا عملك الصالح.

وصدق الله ﷻ إذ يقول:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١].

فاحرص أخي المسلم على سلامة قلبك من الكبر والحقد والحسد، ومن سائر الآفات التي تُمْرِضُ القلب، وتُبْعِدُه عن الله ﷻ، وانشغل بإصلاح نفسك ونجاتها من عذاب الله ﷻ، فإنه لا ينفعك غداً بين يدي الله ﷻ إلا عملُكَ الصالح.

الحقيقة الرابعة: ما هو الكبر؟ الكبر هو التعالي والتعاظم على الغير.

وقد يكون هذا التعالي على الله ﷻ، وهذا أفحش أنواع الكبر، وهو منتشر بين الأمراء والرؤساء، كالنمروذ، إذ استنكف أن يكون عبداً لله ﷻ، فادعى الربوبية، فقال ﷻ :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨].

وكذلك فرعون تكبر على الله ﷻ، واستنكف أن يكون عبداً لله ﷻ، فادعى الأولوهية، وفي هذا يقول المولى ﷻ :{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً

يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُم مِّنَ المَقْبُوحِينَ} [القصص: ٣٨ - ٤٢].

وقد يكون التعالي على الله ﷻ بعدم الانصياع لأوامره، كرفض السجود له، فقال ﷻ :{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً} [الفرقان: ٦٠].

وقد يكون التعالي والتعاظم على رسل الله: وذلك بأن يمتنع البشر عن اتباع الرسل، ولقد صور لنا القرآن الكريم التكبر على الرسل، فقال ﷻ :{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ} [المؤمنون: ٤٤ - ٤٧].

وقال ﷻ :{وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ} [المؤمنون: ٣٤].

وتكبرت قريش على الرسول ﷺ، فقال ﷻ :{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَـذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

وقد يكون التعالي والتعاظم على البشر: وذلك بأن يعتقد الإنسان المتكبر أنه أفضل خلق الله ﷻ، وأعظم ما في الوجود.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الأشياء التي يحصل بها الكبر (أو يتكبر بها الإنسان).

أولا: التكبر بالعلم:

فأول شيء يتكبر به الإنسان هو العلم، وما أسرع الكبر إلى العلماء، فلا ينبغي العالم أن يتعزز بعلمه، فيستشعر في نفسه جمال

العلم وكماله، ويستعظم الناس ويستحقر الناس ويستجهلهم، ويتوقع أن يبدؤه بالسلام.

وهذا من أخطر أنواع الكبر؛ لأن الناس يقتدون بأفعاله، ويقلدون سلوكه، لأنه قدوة لهم، وإذا كان كذلك: كان مثالاً سيئاً، وقدوة رديئة.

والعالم المتكبر ينصرف الناس عنه، وينفضون من حوله، فلا يُنتفع بعلمه، إلا من يوافقه على هواه، ومن كان هذا شأنه فلا فائدة من علمه، فيأمر الناس بالتواضع وهو أبعد الناس عنه.

روى البخاري وأحمد أن الرسول ﷺ قال:«يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ..... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...».

ثانيا: التكبر بالمال

وهذا النوع يجري بين الملوك في خزائنهم، وبين التجار في بضائعهم، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير، ويتكبر عليه، ويقول له: أنت مكدٌّ ومسكين، وأنا لو أردتُّ لاشتريت مثلك، ومن أنت؟ وما معك؟ وأنا ما أنفقه في يوم تنفقه أنت في سنة.

ونسي هذا المتكبر بماله أن المال عارية، ربما سلبه الله ﷻ منك في أقل من لمح البصر، مثل ما حكى الله ﷻ في قصة

أصحاب الجنتين، فقال ﷻ :{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً} [الكهف: ٣٢ - ٤١].

لقد أرسل الله ﷻ عليها حسبانا من السماء، وهو المطر المزعج الباهر الذي يقتلع الزرع والأشجار، فأصبحت تراباً أملس لا نبات فيه، فقال ﷻ :{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً} [الكهف: ٤٢ - ٤٤].

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه.... وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

أما علم المتكبر بماله أنه سيوف يموت ويترك ماله كله، وسوف يحاسب عليه يوم القيامة؟ أما نسي هذا المتكبر أنه لو أصابته آفة، أو

علة، أو مرض، ما أفاده ماله، وربما أنفقه وضيعه على علاجه ولم يبرأ.

فهذا هارون الرشيد دخل عليه ابن السماك وصادف ذلك أنه كان يرفع كوباً من الماء ليشربه، فقال له: اسمح لي أن تؤجل هذه الشربة قليلاً حتى أسألك، قال هارون: سل، قال: إذا مُنِعتْ منك الشربة فبكم تشتريها؟ قال هارون: بنصف ملكي، قال: فاشرب هنيئاً، فلما شرب هارون، قال له: فإذا مُنعتْ فيك يا سيدي، فبكم تدفع لإخراجها؟ قال ملكي كله، فقال: ملك لا يساوي شربة ماء، يا سبحان الله!

ثالثا: التكبر بالحسب والنسب:

فصاحب النسب الشريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً.

روى النسائي والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال:«**انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان، حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أم لك؟ فقال: أنا فلان ابن الإسلام، فأوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام : أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة، فهم في النار وأنت عاشرهم**».

إن النسب الشريف هو الذي يترتب عليه آثار صالحة تدل على رفعته وكرامته، أما من يتكبر ويظلم، ويؤذي عباد الله ويحتقرهم، فإنه لا يكون من عنصر طيب، ولا من أصل كريم غالباً.

أما علم هذا المتكبر بالنسب والحسب أن الإسلام أزال الفوارق والطبقات، ولم يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين الحبشي والرومي، إلا بالعمل الصالح والتقوى.

فروى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد الحرام، وأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وفوقه ثلاثمائة

وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} [الإسراء: ٨١].

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول ﷺ بلال بن رباح ﷺ أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال أبو سفيان بن حرب: إني لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتْ عني هذه الحصباءُ، فيخبره به رب السماء.

فأتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ وأنزل عليه قول الله ﷻ :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

رابعاً: التكبر بالجمال:

وهذا النوع من التكبر يكثر وجوده بين النساء، فنجد المرأة تتكبر على غيرها من بني جنسها بالجمال.

إن الجمال نعمة من الله ﷻ، يعطيه لمن يشاء، ولكن يجب المحافظة على هذه النعمة، ولا نتكبر بها، وهناك من الرجال من يتكبر بهذا النوع، ولكنه قليل في الرجال عنه في النساء.

أما علم المتكبر بجماله أن الطاووس أجمل منه؟ أما علم ذلك الغافل أن الجمال معرض للزوال بسبب الأمراض؟ أما علم المتكبر بجماله أن الرجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه، أما علم هذا المتكبر أنه يغسل الغائط في اليوم أكثر من مرة.

أما علم هذا المتكبر أنه خرج من مجرى البول مرتين، مرة ماء مهيناً، ومرة طفلاً صغيراً لا حول له ولا قوة؟

أما علم هذا المتكبر أنه أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو مع ذلك يحمل العذرة؟

أما علم أن هذا الجمال سيبلى ويصير جيفةً، فتتفتت أعضاؤه، وتنخر عظامه؟ ويأكل الدود أجزاءه؟

خامساً: التكبر بالقوة والصحة:

فمن الناس من يتكبر بالصحة والقوة التي أنعمه الله ﷻ بهما، فيأكل حق الضعيف، ويستولي على أموال الناس بالظلم والعدوان معتمداً على قوته، وهذا رجل جاهل؛ لأنه ظن أن القوة هي مقياس الرجولة بين الناس.

لقد نسي هذا المتكبر أنه لو كان معيار الرجولة هو القوة لكان هناك من الحيوانات ما هو أفضل منه، كالفيل مثلاً، أو الحمار، أو البغل.

ولكن المدار على العقل، فبه يصل الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه، وبه يسير الإنسان سيراً حسناً، وهو الذي يجنب صاحبه المضار والمهالك.

وانظر إلى من تكبر بالقوة ماذا كانت عاقبته، قال ﷻ :{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} [فصلت: ١٥، ١٦].

سادساً: التكبر بالعبادة والعمل:

فمن الناس من يتكبر بعمله وعبادته، فيعتقد أن الناس كلهم هلكى وهو الوحيد الذي سينجو، وهو لا يعلم أنه هو الهالك، تحقيقاً لقول

الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم:«إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم».

أما علم هذا المتكبر بعمله وعبادته، أنه مهما عمل وعبد الله ﷻ فلا يستطيع أن يؤدي شكر نعمة واحدة من نعم الله ﷻ عليه؟

ولو وضع الإنسان منا عبادته كلها في كفة، ونعمة واحدة من النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه في كفة أخرى، لرجحت كفة النعمة الواحدة.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الإنسان منا لن يدخل الجنة بعمله، فروى البخاري أن الرسول ﷺ قال:«لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ :«ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله ﷻ برحمته».

سابعا: التكبر بالجاه والمنصب:

فمن الناس بمجرد أن ينعم الله ﷻ بنعمة المنصب أو الجاه تجده يتكبر على غيره من البشر، ألا فليعلم هذا المتكبر أن المنصب زائل، وأن الأيام دول، ولو كانت المناصب تدوم لأحد ما وصلت إليك، وما وصلت إليها.

يقول الأصمعي: لقد رأيت رجلا يطوف حول الكعبة، وكان بين يديه خدام وعبيد يبعدون الناس عن طريقه، ويسوقونهم بين يديه، فنظرت إلى الرجل، فإذ هو متكبر يكاد يخرج من جلده تكبراً، فتعجبت من ذلك كثيراً، وبعد أعوام قليلة، رأيت هذا الرجل بعينه يجلس في مزبلة حقيرة فوق جسر بغداد، فدنوت منه وقلت له: يا سيدي ألست صاحب الجنود والحراس حول الكعبة بالأمس؟ قال: نعم، فقلت له: وما الذي سيرك على هذا؟ قال: تكبرت حيث تواضع الناس، فوضعني الله ﷻ حيث يَترفَّعُ الناس.

يقول الأصمعي: فوليت وأنا أقول: فاعتبروا يا أولى الأبصار.

* * *

الكبر

أسباب عذاب القبر

الكبر

الحمد لله رب العالمين: الذي شمل إحسانه كل حي، فكيف إنعامه؟ إنعامه ملء الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شيء، فكيف جنته؟ جنته عرضها السماوات والأرض، فكيف عرشه؟ عرشه فوق السبع الطباق، فكيف وجه؟ وجه ذو الجلال والإكرام، فكيف هو؟ قال ﷻ :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤، ٨٥].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن الحسرة والندامة تكون للمتكبر يوم القيامة، فقال ﷻ :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ * وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٥٦ - ٦٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : بين لنا أن الكبر يمنع صاحبه من دخول الجنة، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر» فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال ﷺ :«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس».

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام.

مازال الحديث موصولاً مع جناية الكبر، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسال أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: ما هي الأسباب التي تدعو إلى الكبر؟ أو تحمل الإنسان على الكبر؟ الأسباب التي تدعو الإنسان إلى الكبر ثلاثة:

أولاً: العُجْب: وهو أن يُعْجب الإنسانُ بنفسه، أو بعمل قام به، فالعُجْبُ يورث الكبرَ، وقد يُعْجبُ الإنسان بعمل هو مخطئٌ فيه، كما يُعْجبُ بعمل هو مصيبٌ فيه.

ولقد حذرنا الرسول ﷺ من العجب، فروى البزار أن الرسول ﷺ قال:«لو لم تُذنِبُوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبر منه: العُجْب».

ولقد دخل العُجْبُ في قلوب المسلمين في غزوة حنين، فدارت عليهم الدائرة في أول المعركة، إلا أن الله ﷻ ثبت رسوله ﷺ، فيقول ﷻ :{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

ولقد بين لنا الرسول ﷺ أن العجبَ من المهلكات، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال:«ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

ثانياً: الحقد والحسد: فالحقد والحسد يحملان الإنسان على التكبر، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو أعلى منه، فقد يحقد إنسان على غيره أو يحسده فيحمله على أن يتكبر عليه.

والشرع قد نهانا عن الحسد، فلقد طلب الله ﷻ من رسوله ﷺ أن يتعوذ من الحسد، فقال ﷻ :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [العلق: ١ - ٥].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا».

ثالثاً: الرياء: فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه، وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة منه خيفة أن يقول الناس: إنه أفضل منه، فيكون الباعث على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا مع نفسه لكان لا يتكبر عليه.

ولقد حذرنا المولى ﷻ من الرياء، فقال:{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].

وقال ﷻ :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ*وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: ٤ - ٧].

الحقيقة الثانية: إن الله ﷻ أمرنا بعبادته وطاعته، وفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وحدَّ حدوداً لمصالح عباده، ووعد على الالتزام بشرعه الجنة، وعلى مخالفته النار، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال:{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: ١٤، ١٥].

فإذا جمحت نفسُ الإنسان وارتكبت الذنب فتح الله ﷻ لها باب التوبة والاستغفار، فقال ﷻ :{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: ١٧].

أما إذا أصرت النفسُ على معصية الله ﷻ وأبت إلا أن تغشى حماه، وتتجاوز حدوده كالتكبر على الناس، فلا بد من كبح جماحها بإنزال العقوبة عليها؛ ليتحقق للأمة الأمن والطمأنينة، فالعقوبة هي أمان للمجتمع كله، فقال ﷻ :{وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩].

الحقيقة الثالثة: إن القصص القرآني الذي ساقه الله ﷻ لنا ليس من باب الترف، ولا من باب التسلية، بل ساقه الله ﷻ من أجل العبرة والعظة، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ : {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].

وقال ﷻ :{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧].

ولكن للأسف الشديد حولنا القصص القرآني إلى مجرد تسلية فقط ولا نأخذ العبرة ولا العظة منه، فأصابنا ما نحن فيه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ، وصدق الله ﷻ إذ يقول:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج للمتكبرين من خلال القرآن الكريم.

النموذج الأول: قارون:

يقول ﷻ :{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٦، ٧٧].

فقارون قد منَّ الله ﷻ عليه بنعمة المال، والتي أصبحت بعد ذلك عليه نقمة عظيمة؛ لأنه خالف شرع الله ﷻ، ولم يستعمل النعمة فيما أحل الله ﷻ، ولذلك يقول الله ﷻ :{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [القصص: ٧٦] أي تكبر وتطاول.

ولذلك لما طلبوا منه زكاة ماله، قال لهم، كما حكى القرآن:{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [القصص: ٨٧].

فماذا كانت نهاية بغيه وتكبره على من حوله؟ أنفعه ماله؟ أنفعته كنوزه؟ أنفعه علمه؟ أنفعته حيله ودهاؤه؟ كلا، والله لم ينفعه ماله، فقال ﷻ :{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [الليل: ١١].

لقد نصحه قومه، وقالوا له: لا تغتر، ولا تبغ ولا تتكبر،{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

لكنه ردَّ قولَهم، ولم يسمعْ لنصحهم، ولم يُذعِن لموعظتهم، فكانت عاقبته الخسف والعذاب إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك يكون في النار.

ولم تنفعه كنوزه، ولا علمه، ولا دهاؤه، فكانت نهايته هي نهاية كل متكبر، هي نهاية كل متعال، نهاية كل باغ، نهاية كل متطاول وجاحد، قال ﷻ :{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ

مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: ٨١].

وهكذا تكون نهاية كل متكبر بماله، فإذا أنعم الله ﷻ على الإنسان بنعمة المال، فلا بد أن ينسب الفضلَ كلَه لله ﷻ، فإذا لم ينسب الفضل لله ﷻ يكون قد تكبر بماله، وفعل كما فعل قارون، حينما قال: أوتيته على علم عندي.

وإذا امتنع صاحب المال عن أداء حقوق الله ﷻ المتعلقة بماله كالزكاة والصدقات والكفارات والنذور، فهذا أيضاً تكبر بنعمة المال.

فانظر إلى حالنا اليوم: فكم من غني منع زكاة ماله، وكم من غني حرم السائل من حقه، وكم من غني بخل بماله على الفقراء والمساكين، فكل هذا من التكبر بالمال، فليحذر كل صاحب مال فينا أن يصنع ما صنعه قارون، حتى لا تكون نهايته كنهاية قارون.

النموذج الثاني: فرعون:

هذا الرجل الذي أنعم الله ﷻ عليه بنعمة السلطان والجاه، فكان له قصوره، وكان له أمواله، وكان له عقاراته، ولكنه قابل ذلك كله بالنكران والجحود لله رب العالمين، قادعى لنفسه الربوبية والألوهية.

ويتضح كبر فرعون بسلطانه وجاهه حينما رأى رؤيا في منامه، وفسرها له كهنته بأنه سوف يولد مولود ذكر، سوف يكون سبباً في القضاء على ملكه وسلطانه، فماذا فعل؟

صار يذبح كل مولود يولد من الذكور، وهذا من الكبر، ولقد صور لنا القرآن ذلك، فقال ﷻ :{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤].

لكن حكمة الله ﷻ وإرادته فوق كل إرادة، فحفظ الله ﷻ موسى ﷺ ونجاه من الذبح، وتربى موسىﷺ في قصر فرعون،

ورباه هو بنفسه، لكي يكون سببا في نفاذ ووقوع قضاء الله ﷻ.

وبعد ما أرسل الله ﷻ موسى بالرسالة، وكانت مهمته مع فرعون إخراج بني إسرائيل فقط، فقال ﷻ :{فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: ٤٧].

فدخل موسى ﷺ على فرعون ليبلغه بالرسالة الجديدة، فتكبر فرعون بسلطانه وجاهه، فقال ﷻ :{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ* قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ* فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ* قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} [الشعراء: ١٠ - ٣٧].

وقال ﷻ :{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي

هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} [الزخرف: ٥١ - ٥٤].

فكانت نهايته كما قال المولى ﷻ :{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ} [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

النموذج الثالث، إمام المتكبرين إبليس اللعين:

وهذا هو زعيم المتكبرين، وأشقى الأشقياء، ذلكم المحروم الذي منَّ الله ﷻ عليه بأن جعله وهو من الجن، مصاحباً للملائكة الأطهار، فكان يتعبد معهم، ولما خلق الله ﷻ آدم ﷺ وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ وكان من بينهم، وكان السجود سجود تحية، وكان بأمر الخالق الحكيم ﷻ، فماذا كان شأنه؟ وماذا كان حاله؟ قال ﷻ :{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤].

ولما امتنع إبليس اللعين عن السجود لآدم ﷺ علل ذلك بقوله: أنا خير منه، فقال ﷻ :{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: ١٢] فماذا كان مصيره؟

لقد طُرِدَ من رحمة الله ومن جنته، وصار من المبعودين، وأُهبِطَ من الملأ الأعلى إلى الأرض، فقال ﷻ :{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: ١٣].

وقال ﷻ :{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٨].

أخوة الإسلام:

لقد وضع العلماء وسائل للعلاج من الكبر، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الوسائل والتي تكون علاجاً للمتكبر.

أولا: أن يعرف الإنسان ربه حق المعرفة:

فالإنسان منا لا بد أن يعرف ربه حق المعرفة، فهو المعز، وهو المذل، وهو مالك الملك، وملك الملوك، فقال ﷻ :{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

وعلى الإنسان أن يعلم أن صفة الكبر لن تكون إلا لله ﷻ، فقال ﷻ :{هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: ٢٢، ٢٣].

وعلى الإنسان أن يعلم أن العظمة لا تنبغي إلا لله ﷻ، فروى الحاكم أن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي:«العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما أخذته ولا أبالي».

ثانيا: أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه:

فعلى العبد أن يعرف أنه عبد ضعيف ذليل، لا يليق به إلا أن يخضع لله ﷻ، وأن يذل نفسه لربه ﷻ، فقال ﷻ :{قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} [عبس: ١٧ - ٢٢].

وقال ﷻ :{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً} [الإنسان: ١، ٢].

وقال ﷻ :{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق: ٥ - ٨].

ثالثا: المواظبة على أخلاق المتواضعين:

فعلى المسلم أن ينظر في سيرة المتواضعين، وأن أستاذ المتواضعين هو الرسول ﷺ، فيجب على كل مسلم أن يقتدي بالرسول

ﷺ في التواضع، فقال ﷻ :{قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً} [الأحزاب: ٢١].

رابعاً: النظر في سير المتكبرين:

فيرى ما حدث لقارون، وما حدث لفرعون، وما حدث لإبليس اللعين، وما حدث لعاد وثمود.

فقال ﷻ :{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

وقال ﷻ :{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت: ١٥ - ١٧].

وقال ﷻ :{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} [القمر: ١٨، ٢٠].

خامساً: أن يعلم المسلم أن ميزان التفاضل عند الله هو التقوى:

روى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد الحرام، وأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وفوقه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} [الإسراء: ٨١] .

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول ﷺ بلال بن رباح ﷺ أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال أبو سفيان بن حرب: إني لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتْ عني هذه الحصباءُ، فيخبره به رب السماء.

فأتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ وأنزل عليه قول الله ﷻ :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

سادساً: الاعتذار لمن تكبر عليه:

وهذا ما حدث مع أبي ذر، فقد عير بلالاً بأمه، فقال له: يا ابن السوداء، فقال له الرسول ﷺ :«أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية... » فاعتذر إليه أبو ذر ﷺ، ووضع خده في التراب لكي يعفو عنه.

أخوة الإسلام:

إن الله ﷻ قد أعد للمتكبر عقوبات شديدة ومتنوعة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه العقوبات التي أعدها الله ﷻ للمتكبر.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ ـ عدم محبة الله ﷻ :

قال ﷻ :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣].

وقال ﷻ :{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨].

ويكفي عقاباً للمتكبر أن الله ﷻ يحرمه من محبته، ولك أن تتخيل

إنساناً يعيش في هذا الكون مع أن خالق الكون يكرهه ولا يحبه، فإذا حُرِم العبد من محبة الله ﷻ فقد حُرم من الخير كله.

٢ ـ صرف الله ﷻ المتكبر عن آياته:

قال ﷻ :{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٤٦].

ولك أن تتخيل مدى الشقاء والضنك والتعاسة الذي يعيش فيهم الإنسان المتكبر الذي صرفه الله ﷻ الهداية عنه.

٣ ـ الطبع على القلب:

قال ﷻ :{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥].

٤ ـ عدم قبول الأعمال:

قال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف: ٤٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يصعد لهم عمل صالح.

٥ ـ تشديد سكرات الموت:

فلقد صور لنا القرآن حال المستكبرين عند الموت والسكرات، فقال ﷻ :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

٦ ـ الخسف:

روى البخاري أن الرسول ﷺ قال:«بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يجرُ إزارَه من الخيلاء، خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

وهذا ما حدث لقارون، فقال ﷻ :{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: ٨١].

ثانيا: العقوبات الأخروية:

١ ـ الحسرة يوم القيامة:

قال ﷻ :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٥٦ ـ ٦٠].

٢ ـ الحشر في صورة مهينة:

روى الترمذي أن الرسول ﷺ قال:«يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيُساقُون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار، يُسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال».

٣ ـ عدم كلام الله للمتكبر:

روى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

٤ ـ عدم دخول المتكبر الجنة:

قال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٠، ٤١].

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«لا يدخل الجنة من كان في قلبه

مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، فقال ﷺ :«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس».

٥ ـ النار مثوى كل متكبر،

قال ﷺ :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

وتأمل معي أخي المسلم هذا المشهد المهيب الذي يصف حال المستكبرين عند دخولهم النار، قال ﷺ :{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٧١، ٧٢].

فيا لها من خاتمة سيئة لأهل الكبر، الذين أبوا أن يكونوا عباداً لله ﷻ، بل الأعجب من هذا كله، أن النار تلتقطهم من أرض المحشر كما يلتقط الطير الحبَّ، فروى الترمذي وأحمد أن الرسول ﷺ قال:«يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين».

* * *